الذى لم يكن له حيلة ولم يمسك سلاحًا فى حياته، ولا يعرف حتى الدفاع عن نفسه، كان يتقن تلقيح النخيل فى الموسم، يربط خصره بحبل ويصعد النخلة الذكر لينتزع بمهارة حبوب اللقاح وينزل بسرعة، مرتقيًا النخلة الأنثى، يدس البذور طازجة، حامية، وزعم لمن يعرفهم أن ذلك أثار عنده لذة لم يعرفها مع النساء.

لماذا وقع اختياره على الفراغ المواجه للمقر؟

لا أحد يعرف.

السؤال لا يتعلق بحمدون وحده، إنما بكل الذين ظهروا فجأة ولزموا ثم غابوا، إما بموت غامض أو معروف أسبابه، أو اختفاء مريب أو عادى، لم يهتم بهم أحد، ولم يسجل سيرتهم إنسان، ولم تعن بهم إدارة، ما بقى منهم واقعة تتعلق بكل منهم ربما لا تعنى بالنسبة له شيئًا، أو جملة لفظها، أو حركة معينة.

ما بقى من حمدون ذكر عضوه، يؤكد الديروطى حارس الجراج القديم إنه رآه بعينيه عندما صحبه غصبًا إلى حمام بلدى قديم ناحية الكيت كات، طويل إلى درجة أنه يلتف كشعبان إذا قعد، يبدو أن الحكاية المتداولة عنه تمت إلى ما قاله الديروطى. إذ يؤكد البعض أنه كان ينام فى الخلاء، يُعرف موقعه من شخيره، يتمدد على ظهره، عيناه إلى السماء، وفى إحدى الليالى كانت امرأة تعبر الطريق إلى البيوت القريبة من المقر، لم يكن البشر مصدر خطر فى ذلك الوقت، فقط الكلاب والذئاب التى تجىء من الخلاء أحيانًا، والثعابين والعقارب، كان يمكن للمرأة أن تمشى من وراق العرب حتى ميت عقبة ليلاً بدون خوف من تعرض أحد، هذه المرأة لفت نظرها الشخير، عندما اتجهت صوب المصدر فوجئت!